

خطاب صاحب الجلالة في الجلسة الختامية للدورة الأولى لهيئة الاتحاد العربي الافريقي

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

إن أحسن شيء نفتتح به كلمتنا لنختتم دورتنا هي فاتحة الكتاب. بعد تلاوة الفاتحة تابع جلالة الملك خطابه قائلا :

حضرات السادة :

كما تعلمون ان المعاهدة المبرمة بين الجماهيرية الليبية والمملكة المغربية تضع مستويين لما ينتج عن أعمالها، فحينما يجتمع رئيسا الدولتين يكون ما صادقا عليه قرارات، وحينما تجتمع الهياكل المكونة للاتحاد يكون ما تصادق عليه توصيات، وإنني سأعمل بهذه الصلاحية التي خولها لي اتفاق الاتحاد بين الدولتين لأقرر بأن الوفد الشقيق الليبي المكون من الممثلين للشعب الليبي لن يغادر المغرب الا يوم السبت ان شاء الله، وللشقيق العقيد القذافي حينما يذهب عنده ممثلو الشعب المغربي ان يقيهم كذلك كما أراد في الجماهيرية.

حضرات السادة

إن السرور الذي يغمرنا الآن والوفدان مجتمعان يجب أن لا يطغى على التعقل والعقلانية، فعلينا اذن أن نستنتج من أعمالكم خلال هذه الايام الاخيرة أولا، النتائج العلمية العقلانية الاساسية والسياسية، ثم علينا من بعد ان نحمد الله سبحانه وتعالى على ما وصلنا اليه من توفيق ووفاق، وبعد ذلك ان نرحب داخل انفسنا وخارج أنفسنا في بيوتنا وفي دورنا وفي مدننا وفي قرانا بالنتائج التي وصلنا اليها.

انني حينما قرأت مساء أمس مشروع التوصيات التي نتجت عن اجتماعاتكم، سررت وأثلج صدري، ذلك لأنني وجدت أن ممثلي الشعبين في مستوى المسؤولية، وفي مستوى ما ينتظر منهم عالمنا اليوم الا وهو وزن الأمور بما يجب ان توزن به، وضع المسائل في المحل الذي يجب أن توضع فيه، تحليل الامور كما يجب ان تحلل، وهذا كله قرأناه وسمعناه اليوم فأثلج صدرنا وأدخل علينا سروراً عظيماً وجعلنا نتفاءل وأكثر من التفاؤل بالمستقبل الزاهر المبشر بكل الخيرات للاتحاد العربي الافريقي الذي يجمع ما بين الجماهيرية الليبية وبين المملكة المغربية.

إن اتحادنا حضرات السادة مازال اتحاداً فتياً، وكل اتحاد لم تمر عليه سنة يجب أولا ان يوزن بما يجب ان يوزن به، ثانيا يجب أن يكون على خبرة تامة بمقصود المشرع حينما وضع الاتحاد، فاذا نحن تفهمنا جميعا وعلى جميع المستويات دوافع المشرع التي وضعت بنداً بعد بند اطار هذا الاتفاق سهل علينا انذاك ان نضع لطريقنا معالم الطريق بالكيلومترات هذا الهدف كلم 10، هذا الهدف كلم 100، هذا الهدف ممكن من كلم 150، ولكن على الأقل سنعرف أين نسير وبأي سرعة يجب ان نسير، ولبلوغ أي هدف يجب ان نسدد انظارنا حتى لا نزيغ عن الطريق مهما بعدت الأهداف ومهما طالت الطريق.

فيمكنني بكل أمانة واخلاص ان أتكلم هنا باسم أخي العقيد معمر القذافي، وباسمي شخصياً على روح المشروع ودافع المشرع، أولا يمكن ان نقول ونصرح ونؤكد من جديد أن هذا الاتحاد اتحاد نزيه، ثانيا ان هذا الاتحاد لا يكون أي محور من المحاور، ثالثا هذا الاتحاد ياليته كان نموذجا لما سبقه من الاتحادات في الماضي، ولو كان مثله وضع كنموذج للاتحاد في الماضي بين بعض الدول العربية لما وقع ما وقع، ولما نكسنا كما نكسنا، ذلك انه اتحاد مرن في اطار من الفضيلة، والفضيلة ليست مرنة إذ لا أصلب ولا أقوى من الفضيلة، فالفضيلة أقوى من الحديد، والفضيلة أقوى من النار والماء والريح، ان اتحادنا في اطار فضيلة، وفي ذلك الاطار هو مرن اطاره وبنوده لا يمكن ان ينتج عنها اي ضرر، بل يمكن لكل واحد كان في الاتحاد أو كان خارج الاتحاد ان ينتظر من بنوده كل خير.

هذه من الناحية الأولى إيجابيّتُه، إنه لا سلبية فيه، وهذا قلما يوجد في اتفاقات دولية.

ثانيا : تشبث هذا الاتحاد بسيادة كل دولة، وهذا مهم جدا فلم نضيع من السيادة الليبية والمغربية إلا ما أردنا بمحض اختيارنا ان نضعه في الرصيد المشترك وأن نقول : إننا حينما تعاقدنا من باب اللازم والملزم ان نتنازل عن بعض صلاحيات سيادتنا، ولكن هذه التنازلات هي تنازلات أولا مقصودة ومدروسة، ولايمكن أبداً ان تكون يوما ما معرضة للاخطاء بحيث ان سيادتنا كاملة، وانظمتنا يحترم بعضها البعض الآخر، بل هذا الاحترام المتبادل يكون حجة دامغة على أن تباين الانظمة لا يقف حاجزاً لاتحاد الدولة، فنظامكم جماهيري لا أقول جمهوري، وله صبغته الخاصة في جميع الأنظمة، نظامنا ملكي دستوري، ومع ذلك وقع اتحاد دولتين بينكم وبيننا، ويسير ولله الحمد على أحسن ما يرام.

وما جلستنا اليوم الا دليل آخر على تمشيه وحسن تمشيه، ويدل هذا كله على أنه كيفما كان تباين الانظمة وكيفما كانت الشقة الجغرافية التي تبعد البلد عن الآخر هناك رابطة ولحمة اساسية.

أولا نحن عرب، وثانيا كلانا افريقي، وثالثا كلانا مسلم، ورابعا كلانا أصيل، فمن كان عربيا افريقيا مسلما وأصيلا لا يمكنه ان يخطط ويبني ويشيد الا للاخاء والسلم والوفاق ومسح العار، ورفع كلمة الله والاخذ بيد الضعيف والضرب على يد الظالم، والنظر بعمق ومسؤولية في جميع ما يتعرض له من مشاكل قارية كانت أو جهوية أو عالمية.

ومما يدل على صلاحية اطار المعاهدة هو أنه حينما فكر الأخ العقيد المعمر القذافي ان يعرض على الدول العربية ميثاقه للوحدة كلمته بالهاتف في مسائل اخرى وقلت له : والله يا أخي إنني لا أحسدك، ولكنني أغبطك، لأنه كان في الامكان ان آخذ المعاهدة المغربية الليبية وأن ندخل عليها بعض التغييرات الطفيفة وتصبح اطارا صالحا للتعامل بين الدول العربية فإذا رأينا نحن مشروع الاتحاد العربي الذي عرضه العقيد نجد أنه كيفما كانت خصومات الدول العربية وكيفما كان البين الذي يبعد هذه عن تلك لا يمكنها من الناحية المذهبية أو الاديولوجية أو من ناحية النظام الاقتصادي السياسي لكل بلد ان يقول انا أتخوف من هذا المشروع، بل هذا المشروع يضمن لكل واحد حريته وسيادته، وهذا كله يرجع الفضل فيه كذلك إلى أن روح المشروع الليبي منبثقة من روح الاتفاقية المغربية الليبية التي تطمئن ولا تخيف، ومن قال انه يخاف منها فهو كاذب والله، لأنني شخصياً وأعلم ما يلزمني بالقسم حينما وضعت مشروع المعاهدة بين يدي قائد الثورة كانت نيتي سليمة وكان قلبي طاهراً.



حضرات السادة :

قلت لكم في أول الخطاب انه يجب علينا ان نكون في مستوى المسؤولية، لماذا ؟ لأننا حينما انطلقنا في تطبيق هذه الاتفاقية لم ننطلق من رغبتين فرديتين، بل أبينا الا ان نجعل من رغبة رجلين رغبة شعبين، فأتينا بهذه المعاهدة فوضعناها أمام شعبينا وقلنا لهما أنتم الحكام، وحينما تعرض الخيارات أمام شعب بأكمله من جهة وشعب آخر بأكمله فهذا يدل على ان الاختيارات أصبحت مقدسة، لأنه لا يمكن التلاعب بارادة الشعوب، وحينما آن الأوان وجاء وقت الامتحان وجئنا الى صناديق الاقتراع وجدنا هناك وهنا صوتاً واحداً وارادة موحدة، و(نعم) لمشروع لا يترك محلا للنزاع، طيب، اذا كانت هذه هي ارادة شعب في المغرب الاقصى وشعب في المغرب الشرقي، ليبيا في الشرق والمغرب في الغرب، اذا كان هذان الشعبان يقولان نعم للجبروت للتوسع للمحورية وغير ذلك كثير جدا شعوبنا لا يمكنها أن تخطيء الى هذه الدرجة، يمكن للحسن بن محمد أن تكون عنده نية لتطويق منطقة من المناطق، يمكن أن يكون لمعمر القذافي نية سيئة لوضع محور أمام محور، ولكن يستحيل أن يكون الشعب الليبي والشعب المغربي بأكملهما قد خططا خطة مبيتة ضد أي أحد من جيرانهما أو سكان قارتهما، فمسؤوليتنا اذن هي مسؤولية يجب علينا قبل كل شيء أن تتجسم في هدف، أملي الكبير هو ان لا يبقى لمدة طويلة الحوار الثاني بيني وبين شقيقي الاخ معمر القذافي، علينا ــ لنجرب و نمتحن المعاهدة ولنعطيها مصداقية أكثر ــ ان نفتش من الآن على من يثلثنا ويربعنا، وهذا لا يمكن ان يأتي الا بالاقناع، ولا يمكن ان يتأتي الا اذا أفصحنا أكثر ما يمكن وأعربنا بأحسن ما يمكن عن طهارة أنفسنا ونقاء نياتنا.

نعم هناك في القارة الافريقية دول ليس لها من المشاكل مثل التي لدينا، هناك دول ليست لديها التزامات في الجامعة العربية كما لليبيا والمغرب من التزامات، هناك دول في افريقيا ليست مسلمة وليست ملزمة بأحكام المؤتمر الاسلامي، هل معنى هذا أنها محرمة على الاتحاد العربي الافريقي، حينما وضعنا الاتحاد العربي الافريقي هل قلنا الاتحاد المسلم العربي الافريقي ؟ يجب علينا ان نبحث بوسائلنا وبجميع قوانا وبوقوفنا في مستوى المسؤولية عمن يكون جليسنا الثالث والرابع والخامس مع تفهم وجوده الجغرافي مثلا، انا كنت منفياً في مدغشقر في جنوب افريقيا، هل المناخ الجغرافي الذي تعيش فيه ليبيا أو يعيش فيه المغرب هو نفس المناخ الجغرافي التجاري الجيوستراتيجي الذي تعيش فيه مدغشقر والموزمبيق ؟ لا، ولكن لي اليقين أن حاجتهما إلى الاتحاد والاحساس بالدفء وبالصديق هي نفس الحاجة.

اذا اخترنا شركاءنا في المستقبل وجب علينا ان نقنعهم اننا لأ نكون محاوَر، وأننا لا نكون كتلا، وأنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعقل الناس أعذرهم للناس، هذا في البحر الابيض المتوسط، وهذا على المحيط الأطلسي والآخر على المحيط الهندي، طيب، لا تجمعنا جامعة عربية ولا دين اسلامي ولا ناحية جغرافية قريبة ولكن ماذا يجمعنا ؟ يجمعنا اننا دول من العالم الثالث، يجمعنا اننا دول نريد ان ننهض بشعوبنا، يجمعنا اننا دول ذاقت كلها مرارة الاستعمار والاستعباد، واننا كلنا دول خاضت معركة التحرير وحرب الكرامة، هذا هو الذي يجمع بيننا.

ومن سيبلغ هذا الى الشعوب ؟ هل هو معمر القذافي ؟ مشكوك فيه، الحسن الثاني مشكوك فيه، أنتم كجماعة وكشعبين غير مشكوك فيكم، فعليكم اذن ان تبلغوا هذه الرسالة،وإذا بلغتم هذه الرسالة وعرفتم كيف تبلغونها فلي اليقين انكم ستكونون في مستوى المسؤولية، سوف يعود عملكم هذا على جهتنا وبحيرتنا، لأن

البحر الأبيض المتوسط يسمى الآن بحيرة، تلك البحيرة التي تريدون أن تكون بحيرة للسلام وللوئام، بحيرة للتساكن بحيرة للثقافة والحضارة والمعمار، ستكونون قد قدمتم لأسرتنا في المغرب العربي وللأسرة العربية المسلمة أحسن خدمة، وقمتم بواجبكم أحسن قيام.

إن الخطاب الذي قررت ان القيه امامكم أردت قبل كل شيء أن يتطرق الى موضوع الاتحاد، ولكن يكون لائحة للمشاكل التي يتخبط فيها العالم، وان يصبح تجمعنا هذا كمؤتمر حزب سياسي نتكلم فيه عن الميز العنصري وعن فلسطين وعن لبنان وعن الحرب العراقية الايرانية، وعن كذا وكذا سنصبح نتكلم من السماء الى الارض وطولا وعرضا.

لهذا فضلت اننا نبقى في اطار اتفاقية الاتحاد، فاذا نحن فهمناها وهضمناها وعرفنا كيف نتصرف في اطارها، سهل علينا ان نتطرق الى جميع هذه المشاكل التي يتخبط فيها العالم سواء منه العالم الثالث أو المتقدم، وان نقول رأينا وان يكون صائبا وان نقول كلمتنا وتكون مسموعة، وان نتخذ موقفا ويكون موقفا محترما.

جعلنا الله جميعا في مستوى هذه التمنيات التي أعبر بها لكم بمشاعري ومن أعماق قلبي، وأريد ان ألاحظ شيئاً آخر، أريد في المستقبل ان نمحو من قاموسنا لفظ الشكر فقد سمعت الكثير من الشكر، نشكر فلانا ونشكر فلانا ونشكر فلانا حتى كدت أوقف السيد الرئيس.

فلفظ الشكر يجب ان نحذفه من قاموسنا، فانتم في بلدكم ونحن عندما نكون عندكم سنكون في بلدنا، والدليل على هذا انني طلبت من مؤرخ الدولة ان يضع قاموسا لأسماء الأسر التي لها اسم واحد وموجودة في ليبيا والمغرب حتى نرى من الليبي الذي أخذ الاسم المغربي، أو المغربي الذي أخذ الاسم الليبي.

وانني بهذه المناسبة أشكركم من أعماق قلبي، لأنني حقيقة تأثرت ايما تأثر بالكيفية التي شاركتموني بها شخصيا في عيد ميلادي، وكما تعلمون فان والدي جلالة محمد الخامس رحمة الله عليه كان دائما يوصيني بأسرتي الكبيرة وبأسرتي الصغيرة حتى أصبحت لا أفرق بين هذه وتلك، وحتى لم يصبح لدي أي مقياس لأضع هذا في أسرتي الصغرى وهذا في أسرتي الكبرى، فإذا رأيت ان هناك أناساً أبناء خير لا أعرفهم ويعرفونني، إذا بهم يلتحمون معي ومع أسرتي الكبرى وأرى في أعينهم نفس الفرحة واستشف من نظراتهم أنهم فرحون معنا، وافهم من نبرات صوتهم ما هو الحق من الباطل عند تقديم التهاني.

لا يمكنكم ان تتصوروا مقدار ونوعية الدفء الذي أحس به، فلهذا أشكركم جزيل الشكر على الكيفية التي شاركتم بها اسرتي الكبيرة وأعتز ان ازدادت الى اسرتي الكبيرة والى اسرتكم الكبيرة اسرتان، وان يصبح الجميع اسرة واحدة، كما أرجوكم أن تكونوا كلكم ترجماني ورسولي الى أخي معالي العقيد القذافي لتقولوا له كم تأثرت لرقة الالفاظ المختارة في البرقية التي أرسلها الي بمناسبة عيد ميلادي.

وأن تقولوا له انني والشعب المغربي كله في انتظار زيارته للمغرب لحضور مؤتمر القمة الطاريء إن شاء في الاطار العربي، والذي لا يمكن أن يخون القضية العربية علما منكم وتجربة، وأقول هذا بكل تواضع وحمداً لله، انه منذ ان بدأت تنعقد مؤتمرات القمة في الدول العربية ما عقد مؤتمر قمة بالمغرب وخرج منه أي ابهام أو تساؤل فيما يخص المصير العربي والطريق العربي أبداً، وسنبقى هكذا واضحين محترمين لشركائنا في الاتحاد محترمين لماضينا، ومحترمين كذلك للرصيد الذي سنتركه لمن يجيء بعدنا.



وأسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا دائما عند حسن الظن حاكمين ومحكومين، وأن يسدد خطانا وان يلهمنا سواء السبيل.

واعلموا حضرات السادة ان إطاركم التشريعي ينعقد بكيفية منتظمة ولكن بامكان الرئيسين ان يطلبا عقد اجتماع استثنائي، فاعلموا فيما يخصني ويمكن ان أتكلم باسم العقيد، اننا احتراما لكم واعتباراً لوزنكم من الممكن ان نطلب ابداء نظركم واستشارتكم خارج الدورات المنتظمة لما نعلمه من أن الله سبحانه وتعالى يكون دائما مع أمته، وما اجتمعت أمتي على ضلال، فكلما استنرنا برأي شعوبنا ومن يمثلها وأخذنا باعتبارها سهل تحقيق الأهداف وبلوغ المرامي.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 21 شوال 1405 — 10 يوليوز 1985